المطلقة

كانت ابتسام البنت الوحيدة التي جاءت بعد أربعة أبناء .. جميلة جمالا يبهر من يراها .. مدللة من كل أفراد أسرتها .. نالت من الحنان بحورا ، من أبيها الذي يعشقها ، وأمها التي تعتبرها قرة عينها و نور قلبها ، و حازت على حب أخوتها لها و تدلليهم لها ، لكن ما إن تزوجوا حتى تغيرت معاملتهم لها .. فقد انشغل كل منهم بزوجته !!

لكن ابتسام لم تهتم بذلك و لم يشغلها تغير إخوتها نحوها .. و ظلت سعيدة في حضن أمها و رعاية أبيها ، تعيش حياة الرفاهية ، كل طلباتها مجابة ، حياتها ما بين ضحك ومرح ولهو و فرح ! في الجامعة أطلق زملاؤها عليها "البرنسيسة " ، الكل يتهافت للتقرب منها ومصادقتها، والكثيرون وقعوا في غرامها !! كانت جريئة ومشاغبة جدا، تصادق البنات والشباب ، ولا تبالي بما يدور حولها من كلام .. و إشاعات ، عن مغامرات لها فى الحب والغرام ،كانت تسخر مما تسمع و لا تهتم به ! فقد كانت واثقة

جدا من نفسها .. إلى حد الغرور !! منحاها والداها الحرية التامة ، فحافظت علي نفسها، كانت صداقاتها بريئة إلا إنها فى نظر الآخرين عابثة !!

كثر خُطَابُها مما زاد من ثقتها بنفسها ، وسعادتها وغرورها !! .. حين عاد (أحمد) ابن خالتها من الخارج بعد سنوات تغيرت فيها أحواله ، وصار من كبار الأثرياء ، إضافة إلى وسامته اللافتة للانتباه ، تقدم لحطبتها .. فوافقت الأسرة و رحبت به .. فقد رأوا فيه (العريس اللقطة) الذى تتمناه أي فتاة !! أما هى رغم صمتها ، الذى يعد موافقة منها .. فقد كانت مترددة ، فهى لم تفكر فيه كزوج .. كما إنها لم تره منذ سبع سنوات أو أكثر، ولم تتخيل أن يكون فارس أحلامها ! إلا إنها رأت فيه فرصتها الذهبية لتحقيق كل أحلامها من مال ورفاهية واستمتاع كامل بكل مباهج الحياة !

تم الزفاف سريعا ، كانت ابتسام أميرة بجمالها و أناقتها وزينتها ، التي ظلت حديث المدينة لوقت طويل .. الكل يتحدث عن حفل الزفاف وكأنه ليلة من ليالى ألف ليلة وليلة !! وما تكلفه من أموال .. و بدلة العريس والزينة

وفستان العروس و الأنوار والمجوهرات ، بجانب تلك السيارة المكشوفة التي دخلت بالعروسين وسط أنغام المزامير .. والفرقة الغنائية التي تأتي للمدينة لأول مرة ، الورود التي تناثرت فوقهما عند دخولهما القاعة ، المأكولات التي قدمت من أحد المطاعم الشهيرة ، فوق هذا كله .. (الفيلا) عش الزواج ، والتي تم عرض فيديو لها داخل القاعة قبل وصول العروسين ، الكل كانوا يشاهدون منبهرين بما يرون ! .. الأثاث الفاخر والمفروشات عالية الجودة و الديكورات و الستائر وكأن الفيلا قصر لمهراجا هندي !!

كانت ابتسام تشعر أنها تطير فى أعلى سماء ، و تحلق بأحلامها عاليا ، شعرت كأنها ملكت الدنيا ونعيمها ، مما زادها غرورا و جمالا !!

مرت شهور مليئة بالسعادة والحب ، والرحلات والسهرات والسفر هنا وهناك ، حتى جاء وقت سفر أحمد لعمله بالخارج مع وعده لها بإرسال دعوة لزيارته هناك فى أقرب وقت! غير أنها بعد سفره أحست بالوحدة .. وبشوقها الجارف له .. فقد أحبته وملأ قلبها وعقلها وكان لها

فارسا حقق كل أحلامها ، وأيقنت أنها قد تعودت .. و لا تستطيع صبرًا على بعده عنها !! كانا دائما الاتصال هاتفيا .. ومن خلال (النت) .

عندما تأكدت ابتسام من حملها ، اتصلت بزوجها لتخبره ، أحست من خلال صوته عبر الهاتف كأنه امتلك الدنيا وما عليها .. و أنه يكاد يطير من السعادة ، وعند اقتراب موعد ولادتها .. طلبت منه ان يكون موجودا معها ، فهى في أشد الحاجة إليه .. وعدها بالحضور .. أحست بآلام الوضع .. اتصل والدها (بأحمد) .. ونقل ابنته للمستشفى .. حيث تمت الولادة .. وضعت ابتسام بنت جميلة ، أسمتها (فرح) .. فى اليوم التالي عاد زوجها سعيدا بأول مولود له ، ومثل الزفاف الملكي لابتسام ، يقام حفل ملكي احتفالا بسبوع (فرح) .. تذبح الذبائح و ترفع الزينات داخل و خارج الفيلا ، تقام وليمة فاخرة بها كل ما لذ وطاب ، تعالى الغناء والرقص و ووزعت هدايا السبوع ... على كل من جاء .. و على كل الأقارب الذين لم يأتوا .. هدايا ثمينة تليق بمكانة أحمد وزوجته والأميرة فرح ..

بعد أسبوع سافر زوجها حتى لا تتعطل أعماله .. واعدا بانتهاز أية فرصة للعودة ! وترك ابتسام و فرح بمنزل والدها .. مرت الأعوام و أحمد لا يقضى معهما سوى شهرين كل عام ، كانت حياتها ممتلئة بالفرح والسعادة والمال الكثير والهدايا وابنتها وتعيش في حضن ودفء والديها بأمان فلا ينقصها شيء ، وبين الحين والحين تذهب إلى (فيلتها) تنظفها .. وتفتح النوافذ لتجديد هوائها ، وتطمئن .. يموت والدها فجأة .. تصاب بصدمة قوية .. فتحزن ، و لأول مرة يدخل الحزن قاموس حياتها ، ويلازمها البكاء والأسى .. و يظل أبوها فى مخيلتها لا يفارقها .. و كيف وهو الذى كان كل شىء فى حياتها .. رغم زواجها وأمومتها !؟ تحاول أن تنسى وما كان يواسيها غير أمها و ابنتها الصغيرة فرح ، ويمضى عام و تُرزق بنتًا أخرى جميلة أسمتها (هنا) .. وانشغلت بها ..

مرت الأعوام و بدأت ابتسام تشعر بالملل والوحدة ، لسفر زوجها وانشغاله بأعماله ، مما قلل من اتصاله بها ، قررت أن تعمل خاصة وأن البنتين فى رعاية جدتهما .. ولديها من تقوم بأعمال البيت .

اتصلت بزوجها لتبلغه قرارها .. فى البداية رفض فهى ليست فى حاجة إلى العمل ، فلديها كل شىء .. وكل طلباتها مجابة !! .. ولكن تحت إصرارها وافق ليرضيها و يرتاح من إلحاحها عليه بالعودة و الاستقرار !

بعد عامين ماتت والدتها ، فانهارت نفسيتها و شعرت بالوحدة أكثر وأكثر، وكأن الحياة لا قيمة لها و أصبحت فارغة تماما !! وهل هناك من يعوضها عن أمها وحنانها ورعايتها ؟!

وعاد الحزن إليها من جديد .. رغم إنها كانت تملك كل مقومات السعادة ، اضطرت أن تترك عملها رغم أنه كان متنفسها الوحيد ، ومخرجها من صومعتها ، وأصبحت حبيسة البيت .. لا تجد من تحادثه أو يسأل عنها .

طلبت مرارا من زوجها العودة .. فهى تحتاجه الآن أكثر من أى وقت مضى .. الوحدة تقتلها خاصة بعد أن باع إخوتها منزل والدها ، فعادت إلى الفيلا وحيدة ببنتيها، حزينة تشعر باليتم وافتقاد الحنان والحب .. وبأن الدنيا تحاربها .. وتستكثر عليها الراحة والفرح !! كثرت

مشاحنتها مع زوجها من خلال الهاتف .. فهو لا يريد العودة أعتاد السفر والغربة ، وقد ألهاه عشقه للمال عن كل شيء .. عنها وعن بنتيه بالرغم من احتياجهن الشديد إليه وإلى وجوده !!

مرضت ابنتها الصغيرة ليلا وليس لديها أحد اتصلت بأخيها ، ردت زوجته بأنه متعب و نائم ولا تستطيع ايقاظه !! .. احتارت .. ماذا تفعل .. والبنت حالتها سيئة .. وحرارتها مرتفعة .. و لا فائدة من كمادات الماء .. ماذا تفعل ؟! .. لا تملك إلا البكاء واحتضان ابنتها .. تذكرت صديقة لها .. اتصلت بها وهى تبكي ، تطمئنها .. صديقتها و تطلب منها الهدوء .. وستحضر هى و زوجها فورا .. تبكي ابتسام بحرقة ، تشعر بأنها لا سند لها .. لا أخ و لا زوج .. المسئولية كبيرة وهي لم تتعود على ذلك .

تأتي صديقتها وزوجها .. يصطحبانها هي وابنتها إلى المستشفى .. ويتم عمل اللازم و يطمئنها الطبيب بأنها مجرد (وعكة) .. يكتب لها العلاج .. مبينا مواعيد تناوله

.. اتصلت بزوجها أخبرته .. وتشاجرا كعادتهما .. لقد يئست منه و من إقناعه بالعودة .. فقررت ألا ترهن سعادتها به ، وألا تنتظرمكالماته – التي لا تحدث – كل ليلة ، لن تترجاه أبدا ليعود .. فالحنان لا يُشترى !! قررت أن تعيش وتكون قوية و تعتمد على نفسها و ألا تضعف أبدا !!

عادت لعالمها القديم قبل الزواج .. لأصدقائها وصديقاتها ، تتخذ منهم عائلتها التى حُرمت منها ، يتقابلون ويمرحون كل أسبوع ، وفى كل مناسبة ، مما أنساها زوجها الهارب الذى لم يشعر أبدا بمسئولياته تجاهها هى وبنتيه !! أخيرا وبلا موعد أو مقدمات عاد زوجها بكارثة كبرى !! زوجة إيطالية و ابن منها يتعدى الخامسة من عمره !؟ كانت فاجعة شديدة الألم لابتسام وصدمة قوية أفقدتها عقلها ، صارت تصرخ و تتوعد له ، و تتهمه بالغدر والخيانة و صممت على ترك الفيلا .. جمعت ملابسها وملابس ابنتيها وغادرت الفيلا .. وكان الوقت متأخرا لا تدرى إلى أين ستذهب .. تذكرت والديها وبكت ، أنها فى أشد الحاجة إليهما الآن عونا وسندا ، لم تجد غير بيت

أخيها الأكبر ، ذهبت إليه وهى تعلم أن زوجته لن تتحملها ، لكن ليس لديها خيار وقد انتصف الليل لا مكان آخر !!

مرت ثلاثة أيام عليها كأنها دهر .. لم يتصل زوجها ولم يأت يعتذر ويأخذهن للفيلا ، أتصل أخوها به تحت إلحاح زوجته التى تريد أن تتخلص من عبء ابتسام و بناتها . قال زوجها إنها إن أرادت العودة فليس إلى الفيلا لأنها من اليوم صارت لزوجته الايطالية وإبنهما .. إنما ستذهب إلى شقة سأستأجرها لها مع ابنتيها !! ما أن علمت ابتسام بالأمر حتى انهارت باكية على حالها لاعنة هذا الجاحد !! لم تتخيل أن يتخلى عنها بكل هذه السهولة ، و يبيعها في لحظة !! ألم يتذكر كيف تحملت بعاده سنوات ، كيف مضى العمر بها و أمضت شبابها تنتظره و ترعى بنتيها وحدها .. و يكون جزاؤها طعنة غدر قاتلة !! رفضت ابتسام العودة إليه و طلبت الطلاق .. على سبيل التهديد .. لكنه فجعها بطلاقها وكأنه كان يتحين الفرصة للتخلص منها .. لم يبال بصلة رحم و لا

بعِشرة سنوات ولم يهتم بابنتيه .. كانت صدمة كبيرة لها ، ظلت أياما وليالٍ تبكى حالها .. وعانت الكثير فزوجة أخيها لا ترحمها ، طوال الوقت نظرات وكلام جارح وشماته بها و إهانات ، أعمتها غيرتها من ابتسام ، ونسيت الرحمة بإنسانة فقدت كل شىء !!

أخذت ابتسام تبث حزنها وهمها إلى الله .. فلم يعد لها غيره ، ملاذا وملجأ " يا رب جبرا يليق بك " . أصبحت ابتسام مطلقة ، الآن عليها أن تواجه المجتمع ونظرته إليها ، كأنها ارتكبت جريمة كبيرة !! ، كانت تعلم أنها ستواجه حربا صارمة و ستصبح عرضة أكثر للشائعات والظنون والأقاويل .. لم يتحملها أخيها أكثر من شهر ، طلب منها البحث عن شقة ، فالشقة لا تتسع لأسرته .. فكيف تتسع لكل هذا العدد ؟! .. مما يعني إنه يطردها ولكن بلطف .. و بتحريض من زوجته ، و رفض مساعدتها فى أستئجار شقة متعللا بضيق الحال وعدم قدرته المالية !!؟

عادت ابتسام لعملها الذى بالكاد يكفي للإيجار و تكاليف معيشة لم تتعود عليها .. زوجها يرفض أن يعطيها أي

حقوق مادية ، تلتجىء إلى المحاكم .. يماطل و يسوف .. و لا يهمه ترك بنتيه بلا عائل !؟ رغم ذلك كانت تخفي حزنها الدفين بضحكات عالية ، تريد أن تبدو قوية ، تجنبا لشماتة الشامتين ، وحتى تهابها الذئاب ممن يتربصن بأمثالها هنا و هناك ، فالمطلقة فريسة و مطمع للجميع !!

استيقظت ذات ليلة على صراخ ابنتها الكبرى من ألم شديد لا تتحمله .. و لم يكن لديها أية مبالغ حتى تستدعي طبيبا .. اتصلت بأخيها تهَرب منها ، اتصلت بطليقها لم يرد ..

اضطرت للاستغاثة بجيرانها ، توجهوا معها إلى المستشفى .. واكتشف الطبيب التهاب الزائدة الدودية حتى كادت تنفجر ، لولا وصولهم في الوقت المناسب ، أجريت لها العملية سريعا وتم استئصال الزائدة .

بعد العملية بأيام طلبت صاحبة الشقة منها ترك الشقة خلال أيام لحاجتهم إليها .. ولكن الحقيقة إنها غارت

علي زوجها من جمالها وخشيت أن تخطفه منها بما أنها مطلقة !!

بمساعدة بعض أصدقائها انتقلت إلى شقة أخرى ، وبدأت صديقاتها المتزوجات فى الابتعاد عنها خوفا علي أزواجهن ، أو خوفا على سمعتهن من مصادقة (مطلقة) !!؟

وكأن لقب مطلقة وصمة عار، مما يجعلها تختار أحد أمرين .. كلاهما مُرّ .. فإما أن تستسلم لحزنها وتضيع ، وإما أن تكون قوية تحارب لتعيش بأى شكل من أجل بنتيها ، و اختارت الأمر الثاني .. و انطلقت لا تبالي بكلام الناس و ظنونهم !!

بل زادت قوتها و ثقتها بنفسها و بجمالها .. كانت تستغل ضعف الرجال أمام سحرها لإتمام مصالحها هنا و هناك ، ولكن بحذر دون أن تخطيء أو تخسر شيئا !؟ .

تقدم لزواجها الكثيرون ورفضت ، فقد ضعفت ثقتها فى الرجال ، بعد زواجها الفاشل عزمت على التأني فى

اختيار الرجل المناسب الذى يمكن الاعتماد عليه كزوج !! فليس هناك مجال للتجربة ولا للصدمات .

ظلت ثلاثة أعوام بلا زوج ، تعرضت خلالها لاتهامات وشائعات لو أنشغلت بها لانفجرت أو انهارت .. و تجرعت آلامًا وأحزانًا لا نهاية لها .. و كانت دموعها لا تجف و لا تنتهي ، وتراكمت عليها ديون كثيرة !! حتى جاء (نادر) زميلا جديدا بالعمل استلفت نظرها واهتمامها .. علمت أنه يمتلك سيارة وشقة فاخرة و حالته المالية ممتازة .. وأنه يعمل حتى لا يقال عنه أنه عاطل !!

بمرور الوقت تعلق قلبه بابتسام رغم كل ما سمعه عنها ، ولكنه لم يهتم إلا بما يراه منها ، وصارحها برغبته فى الزواج منها .. ترددت بعض الشىء .. إلا أنها وافقت .. عارضت أسرته فكرة زواجه من مطلقة .. و أن هناك الكثيرات تتمنى كلن منهن الزواج منه .. لكنه صمم وأصر على الزواج من ابتسام ، فتمت خطبتهما .. وأصر على أقامة حفل كبير للزفاف ، فهى ملكته التى تستحق المزيد من السعادة والكثير من الحب والوفاء .

لم يأبها بالهمس واللمس الذى يدور فى الخفاء .. غيرة وحسدا .. احتواها بحبه .. فأخلصت له و بادلته حبا و حبا .. و وجدت فيه أبا لبنتيها .. تنجب له طفلا .. يزيد من أواصر المحبة والسعادة بين جميع أفراد الأسرة ويصبح لديهما بنتان و ولد !